الفصل الثانى

اختلاق إسرائيل القديمة
وإسكات التاريخ الفلسطينى

يحمل هذا الفصل العنوان الذى اتخذه «كيث وايتلام» لكتابه الشهير الذى استعرض فيه الجهود الجبارة التى بذلها عدد من علماء الآثار والباحثين التوراتيين منذ ظهور الفكرة الصهيونية بهدف إثبات وجود إسرائيل القديمة، وإسكات تاريخ الشعب الفلسطينى.

كان هدف الحركة الصهيونية هو الاستيلاء على أرض فلسطين، وابتدعت لنفسها شعاراً «شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب»، ولكنها كانت تعلم أن الأرض غير خالية، بل إن أصحابها يتملكونها منذ فجر التاريخ، ومن ثم كان همها هو إغفال تاريخ هذا الشعب وكأنما البلاد لم يسكنها سوى اليهود، بل إن جولدا مائير أنكرت حتى وجود شعب فلسطينى.

ووجدت من هم على استعداد لتهجير اليهود إلى فلسطين، سواء لأسباب دينية مستمدة مما ورد فى الإنجيل من رؤية عن عودتهم من أجل ظهور المسيح، أو لأسباب سياسية تتمثل فى حماية المصالح الاستعمارية.

وأكد إعلان إنشاء دولة إسرائيل من ـ بين أسانيده ـ أن «أرض إسرائيل هى مهد الشعب اليهودى ـ هنا تكونت شخصيته الروحية والدينية والسياسية، وهنا أقام دولة للمرة الأولى، وخلق فيها حضارة ذات مغزى قومى وإنسانى جامع، وفيها أعطى

للعالم كتاب الكتب الخالد . . . سعى اليهود جيلا بعد جيل مدفوعين بهذه العلاقة التاريخية والتقليدية إلى إعادة ترسيخ أقدامهم فى وطنهم القديم» .

وماذا عن الشعب الفلسطينى؟

. . تجاهل الإعلان المذكور تاريخ هذا الشعب وحقوقه وإنما تضمن مناشدة «السكان العرب فى دولة إسرائيل» المحافظة على السلام، أى اعتبر أصحاب البلاد الأصليين مجرد سكان فى الدولة العبرية .

كانت الأمم المتحدة قد قررت تقسيم فلسطين وإقامة دولة عربية وأخرى يهودية مع تدويل القدس، وأقيمت دولة إسرائيل ولكن الدولة الفلسطينية العربية لم تنشأ رغم مضى ستين عامًا، لأن إسرائيل ترفض قيامها وتضع العراقيل على طريق إنشائها . فأما من تبقى من الفلسطينيين فى موطنهم، فقد أصبحوا مواطنين من الدرجة الثانية فى الدولة العبرية ومعرضين للطرد فى أى وقت .

كان هدف الصهيونية ـ ولا يزال ـ هو إفراغ فلسطين من شعبها العربى، ونجح ـ بن جوريون ـ فى التخلص من (٧٥٠ ألف) فلسطينى يمثلون الغالبية العظمى للسكان خلال حرب عام ١٩٤٨، ولم يتغير الهدف الصهيونى حتى اليوم، بل إن بعض زعمائها الحاليين قد ضاقوا بالأقلية العربية ـ التى أصبح عددها يفوق مليونًا ونصف المليون ـ وأصبح يطالب بالتخلص منها .

ظلت الأيديولوچية الصهيونية لا تعترف لغير «الشعب اليهودى» بالحقوق فى «أرض إسرائيل التوراتية»، حقوق تاريخية مطلقة لا تعترف لغير اليهود بها ، وتحاول إلغاء ألفى عام من التاريخ الفلسطينى تعاقبت على مداها فى حكم البلاد الإمبراطوريات المصرية والبابلية والآشورية والفارسية واليونانية والرومانية والبيزنطية إلى أن فتحها العرب فاعتنقت ديانتهم وأخذت عنهم لغتهم وتطبعت بحضارتهم الإسلامية .

تناست أن الشعب الفلسطينى عاش فى البلاد منذ فجر التاريخ عندما هاجرت القبائل الكنعانية من الجزيرة العربية، وأقامت فى فلسطين حضارتها التى لا تزال تدل عليها المدن التى بنتها منذ الألف الرابعة قبل الميلاد : بيوس (القدس)، وشكيم (نابلس)

ومجدو وأريحا وعكا ويافا وغيرها. وعلى نحو ما جاء فى التوراة كانت فلسطين عندما غزاها بنو إسرائيل تسمى أرض كنعان، وقد بدأوا حوالى عام ١٢٠٠ق.م، الانتشار فيها تدريجيًا، وعاشوا فيها كقبائل تحت حكم القضاة ولم يقيموا دولة لهم إلا فى عهد ـ داود وسليمان ـ ولم تدم دولتهم لأكثر من ثمانين عامًا ثم انقسمت إلى دويلتين معاديتين (يهوذا وإسرائيل)، واندثرت الأولى فى حين تعاقبت على حكم الأخيرة الإمبراطوريات القديمة إلى أن قام الرومان بالقضاء نهائيًا على الوجود القومى لليهود بتدمير الهيكل عام ٧٠م.

أما الشعب الفلسطينى، فقد سكن البلاد منذ فجر التاريخ، وتشكل على مدى آلاف السنين بالتزاوج بين أبناء القبائل ومع أبناء الغزاة، ومنهم من اعتنق الديانة اليهودية، ومنهم من اعتنق المسيحية أو الإسلام، ثم تطبع بصفة نهائية بالحضارة العربية الإسلامية منذ الفتح العربى.

ولقد بذلت الصهيونية جهودًا جبارة لطمس هذا التاريخ، وجندت لذلك عددًا من علماء الآثار والكتاب. وقد تصدى (كيث وايتلام) لتلك المحاولات التى تستهدف إسكات التاريخ الفلسطينى بنشر الأساطير عن التاريخ اليهودى القديم لخدمة الأهداف الصهيونية وتبرير الحق المزعوم لليهود فى العودة إلى وطنهم القديم، فأثبت عدم صحتها.

وظلت إسرائيل متمسكة بموقفها الرافض الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى، وخاصة حقه فى تقرير المصير وإقامة دولته المستقلة بالرغم من اعتراف العالم بهذه الحقوق، فى قرار التقسيم والقرارات اللاحقة للأمم المتحدة، بل واصلت انتهاكاتها للقانون الدولى والإنسانى وقرارات الشرعية الدولية. على ما نوضحه فى الفصول التالية.

* * *